

المدينة والوباء: أي مستقبل للحياة الحضرية بعد جائحة كورونا

City and epidemic: What future for urban life after the Covid-19 pandemic

بوضياف فاطمة¹¹ جامعة الجيلالي بونعامة (خميس مليانة)، f.boudiaf@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/04 تاريخ القبول: 2022/03/11 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

يهدف هذا المقال الى استعراض الانعكاسات التي خلفها الوباء العالمي كوفيد 19 منذ انتشاره على مظاهر الحياة الحضرية باعتبار ان المدن كانت في طليعة هذه الازمة الصحية من حيث سرعة الانتشار والعدوى في شتى الأماكن الحضرية. كما تسلط هذه الدراسة الضوء على تحليل سوسيولوجي لازمة الصحة الراهنة وتداعياتها على العلاقات الاجتماعية ومصيرها مستقبلا ، وظهرت النتائج اثارا سلبية للوباء على التفاعلات اليومية وعلاقات الوجه للوجه وعلى الوجود الإنساني. وترتبط هذه الاثار الاجتماعية بالأسباب الفيزيكية لتخطيط الحضري ، جعلت واقع المدن بعيدا عن الاستجابة للإجراءات المتخذة للحد من انتشار الفيروس. وعليه فان مستقبل حياة الساكن الحضري مرهون بتجاوز السياسات الحضرية التقليدية وكذا بالتجربة المستعصية التي يمر بها العالم اليوم.

. الكلمات المفتاحية : المدينة ، الجائحة ، الوباء ، العلاقات الاجتماعية ، الحياة الحضرية

Abstract

This article aims to assess the implications of the covid-19 pandemic since it started on the manifestations of urban life, considering that cities have been at the forefront of this health crisis in terms of rapid spread in various urban places. Furthermore, the study undertakes a sociological analysis of the current health crisis and its fallouts on the social relations and their future. The results show a negative impact of the pandemic on the daily interactions and the face-to-face relations. This impact is related to the physical consequences of urban planning, which made the reality of cities far from responding to the measures taken to contain the spread of the virus. Hence, the future of urban life hinges on rethinking urban policies and learning the lessons from difficult experience.

Keywords: city, pandemic, epidemic, social relations, urban life..

المؤلف المرسل: بوضياف فاطمة

1. مقدمة:

يواجه العالم ازمة صحية غير مسبوقة ؛ اجبر خلالها العديد من سكان العالم البقاء في منازلهم، وفرض الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي والعزلة الذاتية كإحدى الاستراتيجيات الأساسية للحد من انتشار هذا الوباء العالمي ، انعكست هذه الإجراءات على التفاعل الاجتماعي للأفراد ، وأيضًا مع طريقة تصميم المدينة (مدن ، حقائق ، ساحات ، قطارات الأنفاق ، مساحات مشتركة ، شوارع المدينة) ، وعلى الرغم من الدور الحضاري للمدن عبر التاريخ كمصدر رئيسي للتقدم الاجتماعي والاقتصادي ، إلا أنها أيضا كانت دائما المكان المهيأ لانتشار مختلف الامراض. والوبئة ، الامر من شأنه أن يثير العديد من الأسئلة من قبل المصممين والمخططين حول تأثير التصميم نحو زيادة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، والحاجة

إلى فصل السكان خلال الازمة الصحية الحالية نحن الآن وسط إجراءات غير مسبقة حول كيفية استخدام الأماكن العامة في المدن .

ومن ناحية أخرى فقد ساهمت جائحة كورونا والأزمة الصحية المرتبطة بها بظهور موجة هائلة من المراجعات وإعادة التفكير في أسلوب حياة الإنسان الحديث ورفاهيته، إلى جانب آثارها الاقتصادية والاجتماعية. وقد شكل إغلاق المدن والمراكز العمرانية في كافة دول العالم تجربة جديدة ومزعجة للعديد من سكان المدن الذين رأوا مدنها للمرة الأولى بشكل مختلف وغير مسبوق. وقد أجبرت الأزمة الصحية العالمية المخططين العمرانيين إلى إعادة التفكير في القيم المتعارف عليها في شكل المدينة الملائم ، والغرض من التخطيط، وكيف تكون المدن أكثر مقاومة أو احتواءً للأوبئة، بما في ذلك البحث عن بدائل الابتكار العمراني للتعامل مع قضايا البيئة والكثافة والج (Sharifi, & Khavarian-Garmsir, 2020).

لقد أصبح واضحاً أن المدن كانت ولا تزال في مواجهة الازمات الصحية باعتبارها المكان الأكثر خصوصية وتعقيداً ، من حيث أنها المجال الأكثر جاذبية للتدفق السريع للأشخاص والسلع والمال والخدمات ما جعل المناقشات تتسع خلال الازمة الصحية لتحديد العوامل التي تساهم في انتشار الفيروس ذات العلاقة بالمجال الحضري ، مثل الكثافة والاتصال والتنقل والازدحام والتركز الحضري والتواصل الاجتماعي والفقر الشيخوخة . ومن هذا المنطلق تطرح هذه التغيرات المفاجئة عدة أسئلة حول الأوبئة وعلاقتها بظواهر المدن ؟ وكيف انعكست آثار الجائحة على العلاقات الاجتماعية في الوسط الحضري ؟ -كيف يمكن للمدن اليوم أن تتجاوز الآثار السلبية لهذا الوباء وبالتالي التفكير في إعادة بلورة السياسات الحضرية مستقبلاً؟.

2. قراءة في المفاهيم :

1.2 مفهوم الوباء: للمفهوم علاقة بمصطلحات أخرى ذات العلاقة نذكر منه :

مصطلح الفاشية (outbreak) والذي يعرف بأنه: زيادة أعداد المصابين بمرض معين في منطقة جغرافية محددة أو مجتمع معين عن العدد المتوقع، وقد تصنف حالة مرضية واحدة فقط أو عدد قليل من الحالات "فاشية" في حال حدثت في مجتمع يتوقع غياب المرض فيه نهائياً، أو في مجتمع غاب عنه المرض مدة طويلة وقد تظهر الفاشية في عدة مجتمعات على نحو متزامن .

أما الوباء (Epidemic) ، فهو زيادة مفاجئة وسريعة في عدد حالات المرض على نحو أعلى من المتوقع في مجتمع معين كما هو الحال مع الفاشية، لكنه يمتد على رقعة جغرافية أوسع.

وأما الجائحة (Pandemic) ، فتحدث عندما ينتشر الوباء إلى عدة بلدان أو قارات وعادة ما يصاب عدد كبير من السكان. (حنان عيسى ملكاوي، 2020، ص، 08)

2.2 مفهوم جائحة كوفيد 19:

قررت منظمة الصحة العالمية تسمية هذا المرض باسم كوفيد-19 غير أنّ كثيراً من الناس واللغات التزمت بتسميتها فيروس كورونا. ، ولكن بالمعنى الدقيق للاسم، فهو يشير إلى عائلة كاملة من الفيروسات التاجية التي ينتمي إليها كوفيد-19 ، وهذا الاسم الذي اختارته لجنة من علماء الفيروسات، SARS CoV-2 للتأكد بشكل صريح على أنه ليس مستجداً وعلى مدى تشابهه بالفيروس الذي تسبّب بمرض السارس في عام 2003 أعيدت تسمية ذلك الفيروس باسم SARS-CoV-1

وأصبح الفيروس المسبّب لكوفيد-19 يدعى رسمياً SARS-CoV-2 سارس. (ديبورا ماكنتزي، 2020، 21).

3. تاريخ الوباء وعلاقته بظاهرة المدن :

من مراجعة تاريخ الأوبئة في الماضي ، بدءًا من الطاعون الأثيني في 430 قبل الميلاد إلى الموت الأسود في أوروبا في القرن الرابع عشر. يمكننا أن نلاحظ كيف أثرت الأوبئة في تغيير تصميم المدن ، وقوانين تقسيم المدينة ، فمثلاً؛ أثرت أزمة الموت الأسود على التصميم الحضري للمجتمعات الأوروبية من خلال الدعوة لفتح المزيد من المساحات العامة الكبيرة التي توفر فرصة أكبر للتواصل مع الطبيعة وتقليل الشعور بالعزلة ، أيضاً ساعدت الأوبئة المخططيين على تحسين العمران ، ووسعت مدنها لمنع الازدحام .

في أوائل القرن التاسع عشر عندما ضربت سلسلة من وباء الكوليرا العالم ، كان ذلك زمناً للحياة الحضرية المؤلمة في لندن 1850 :اذ يعود السبب الرئيسي لتفشي الكوليرا هو خلط مياه الشرب النظيفة بمياه الصرف الصحي ، كان للمرض تأثير كبير على إعادة تحسين مجال التصميم الحضري : إدارة النفايات في الشوارع ، ودعم الشعور القوي بالرغبة في وجود تهوية وضوء النهار في المساحات التي يمكن للناس التنقل من خلالها، من ناحية أخرى ، حظي مجال تصميم البنية التحتية بفرصة كبيرة للإدارة أزمة الكوليرا. عندما تبين أن العدوى نتجت من خليط بين مياه الصرف الصحي ومياه الشرب في نهر التايمز ، وضع السير جوزيف بازالجيتي حداً لتفشي الكوليرا ؛ قام ببناء جسر فيكتوريا على طول نهر التايمز في وسط لندن وطبق نظام الصرف الصحي الرئيسي أسفل النهر لفصل مياه الصرف الصحي بأمان عن إمدادات المياه النظيفة (Sara Alterably, Dalia Elgheznavy, 2020, p75.76) وبناء على تلك المفاهيم طبقت قواعد الطوارئ حسب هذا النظام ، فان اكوام احشاء الحيوانات التي يتركها الجزارون لتتعفن امام محلاتهم ، والنفايات والسوائل التي يلقيها عمال الجلود والمخلفات البشرية التي يلقيها الناس امام ابوابهم ، وكل الأشياء الأخرى ذات الروائح الكريهة كانت تجمع وتكوم خارج المدينة . واذا كانت الأزمة خطيرة كانوا يطردون العاهرات وكذلك الناس الآخرين الفاسدين أخلاقياً خارج المدينة .(شلدون واتس، 2010، ص 77-78) ا ظهر تشادويك ادوين صاحب قانون الفقراء في بريطانيا وكان يشغل اعلى منصب في إدارة الصحة العامة ، وانشا لجنة ملكية لدراسة صحة المدن الانجليزية ونشر عام 1842 تقرير صحة المدن . ويكمن مخطط تشادويك في توفير شبكة من مواسير الصرف الصحي والماء وتمتد تحت الشوارع العامة وبالنسبة له ان هذا الاجراء وعلى اعتبار ان كل الامراض ناتجة أساسا عن ابخرة عفنة متصاعدة عن الحيوانات والخضروات المتحللة فانه بإزالة سبب الرائحة النتنة ستكون العبقرية الهندسية (وليس العبقرية الطبية) قد ازلت احد الأسباب الأساسية للمرض.(شلدون واتس، 2010 ، ص ص 444، 445)

قراءة الأحداث التاريخية في القرن التاسع عشر؛ حيث ابرز احداثها كانت الثورة الصناعية الثانية ، أو كما عُرفت بالثورة التكنولوجية التي بلغت ذروتها بين 1870-1914 ، مرحلة مهمة من التحضر غير المسبوق، خلال هذه المرحلة أصبحت المدن مكتظة بالسكان وعامرة بالمباني السكنية الشاهقة والسكك الحديدية والمواصلات والأماكن العامة للترفيه والرفاهية بعد ذلك ، بين عامي 1918-1919 ؛ظهر أخطر جائحة فيروسات الجهاز التنفسي في التاريخ "جائحة الإنفلونزا الإسبانية" قتل أكثر من 50 مليون شخص في جميع أنحاء العالم ، مما كان له تأثير واضح على تباطؤ النمو الحضري والحد من الحياة العامة لفترة من أجل الحد من انتشار المرض. فعلى سبيل المثال ، تم استبدال وسائل النقل العام بالسير في شوارع غير مزدحمة ، وكان معظم السكان منعزلون في منازلهم ، وكانت الأرصفة في الليل خالية بشكل غير عادي وهو الأمر الذي يرتبط بالمثل بالوضع الوبائي الحالي.

وفي فيلادلفيا 1908 ؛ تفشت حتى التيفويد والكوليرا وسببهما خلط المجاري ومصدر المياه في نهر شيلكيل. كانت المرحلة الوقائية المبكرة هي نقل المنازل والشركات بعيداً عن ضفة النهر لتحل محلها حديقة فيرمونت الضخمة . وهنا تمت إضافة COVID-19 إلى قائمة طويلة من الأمراض المعدية سريعة الانتشار في القرن الحالي ، مثل السل في جنوب إفريقيا في عام 2006 ، والإيبولا في غرب إفريقيا في عام 2014 ، مما يمثل تحدياً جديداً للمدن وللتخطيط بشكل فعال والتحول الى مدن صحية ، كما يذكرنا التاريخ دائماً بالعلاقة المتبادلة بين الأمراض الحرجة وخصائص المدن ، فقد يترك علامات على مدننا ومجتمعاتنا وأنفسنا ، وهو الامر الذي يذكرنا أن الأمور لن تكون أبداً كما كانت في الماضي (Sara Eltarabily2020,p75, Dalia Elgheznawy).

4-واقع الحياة الحضرية في ظل جائحة كورونا :

فرضت تداعيات جائحة كورونا التفكير في المسألة الصحية خارج دائرة الأطر التقليدية، من مهن طبية ومستشفيات ومختبرات وصيدلة، بعدما كشفت يوميات الحجر الصحي عن دور أساسي لهندسة المدن، كمساهم في جهود الطب الوقائي. صحيح، أن إعداد المدن لمواجهة الأزمات كان حاضرا باستمرار في التخطيط الحضري، فتم تشييد الملاجئ لمواجهة الحروب، وأقيمت منشآت تصريف المياه للوقاية من الفيضانات.. لكن نادرا ما تحضر الأزمات الصحية في استراتيجية التخطيط وتصاميم التمدين.

أظهرت الوقائع أن المدن الحديثة ليست مصممة للتكيف مع الجوائح، فعصور الأوبئة، في نظر المخططين الحضريين، أضحت جزءا من أحداث التاريخ، بفضل التطورات العلمية والطبية وحتى التقنية. قبل أن يكتشف الجميع أن الحقيقة غير ذلك، فقد شهد القرن الـ21 حتى الآن ستة أوبئة، كان أولها متلازمة الالتهاب التنفسي الحاد والوخيم، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، وفيرس إيبولا مرتين "2013 و2018"، وإنفلونزا الطيور، وإنفلونزا الخنازير، وأخيرا وباء كورونا المستجد.

كان وقع هذا الأخير مختلفا على البشرية، قياسا على باقي الأوبئة المحدودة، من حيث الزمان وكذا النطاق. فبدت أحدث المدن العصرية، بما في ذلك المدن الذكية شبه عاجزة عن التعاطي مع متطلبات أزمة ذات طبيعة صحية، ما فتح النقاش حول قواعد الهندسة والتخطيط وقوانين البناء والتعمير، (محمد طيفوري، 2020)

لقد أكدت الأمم المتحدة بالفعل أن ما يقرب من 95 ٪ من حالات كوفيد 19 حدثت في المستوطنات الحضرية ، حيث تأثرت أكثر من 1500 مدينة في جميع أنحاء العالم. لقد جعل الكثيرون قضية ما بعد الجائحة في جدول أعمال متعددة للسياسات المتداخلة ليس فقط في شكل المخاوف الصحية ولكن أيضا فيما يتعلق بالاستدامة البيئية والانتعاش الاقتصادي "الأخضر". والكثير من هذا يتعلق بإعادة صياغة الطرق التي نعيش بها في المدن.

يجب أن تتجاوز مناقشة التخطيط الحضري الأطر المزدوجة التي تضع الاهتمامات "الصحية" مقابل الاهتمامات البيئية . وهذا يعني ، إلى حد بعيد ، تغييرات جذرية في مدننا وطرق العيش في المناطق الحضرية فالحاجة ماسة للتعامل مع الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الحضرية التي يقوم عليها وباء كورونا والتي تتكشف وسط الفئات الأكثر ضعفاً في المدن على حد سواء، اذ يحذر البنك الدولي الآن من موجة حضرية جديدة يقودها 49 مليون شخص من الفقراء بسبب وباء كوفيد-19 (Michele Acuto,al,2020,977)، مما يؤثر على ملايين المهاجرين من الريف إلى الحضر ويزيد من المخاوف بشأن أكثر من مليار شخص يعيشون في المستوطنات الحضرية غير الرسمية ، فسرعة التوسع الحضري ونطاقه يحملان تحديات "توفير الإسكان، النقل، البنية التحتية و الوظائف. الخ سيما ان قرابة المليار نسمة من فقراء الحضر يعيشون في مناطق عشوائية

كي نكونوا على مقربة من هذه الوظائف، يجري 90 % من التوسع الحضري في البلدان النامية بالقرب من مناطق معرضة لمخاطر طبيعية، والأنهار والسواحل، وفي تجمعات سكانية عشوائية وغير مخططة، ضف إلى ذلك الصراعات الأخذة في الازدياد مما أسفر عن 60 % ممن وجودوا قسرا في مناطق حضرية.(سهام وناسي، 2020، ص 357)، لقد أوضحت تداعيات الوباء أن كل مدن العالم ترتكب جرائم في حق الفقراء ومحدودي الدخل والعاملين بالأجرة اليومية أو الأسبوعية. هؤلاء لا يمثلون بالقطع أولوية أمام مخططي المدن والمطورين بل أحيانا وأمام الحكومات. يبدو أن من الواجب الانتقال إلى حقبة تخطيط مجتمع محلي صغير متماسك وليس التنافس من أجل تحويل مدن العالم إلى مدن متعولة متضخمة لا مكان فيها إلا لأصحاب قدرات مالية فائقة.

فقد كشفت جائحة كورونا الحالية ان التجمعات العمرانية الكثيفة تعد مراكز لانتشار الفيروس التاجي ، حيث يكون التفاعل البشري مرتفعاً في هذه الأماكن، ولتجنب انتشار الفيروس حددت السلطات في جميع أنحاء العالم تباعداً اجتماعياً من خلال فرض العزلة بين الناس في مناطق حضرية بأكملها وحتم بالبقاء في المنازل، وأيضاً إغلاق أماكن الاجتماعات والمدارس ، وعزل كبار السن والمجموعات الفرعية

الضعيفة الأخرى، إلا أن هذه التدابير يمكن أن تكون فعالة ضد انتقال المرض وهي غالباً ما تؤدي أيضاً إلى العزلة الاجتماعية لكثير من الناس؛ إذ يمكن أن تؤدي العزلة الاجتماعية إلى الشعور بالوحدة مع عواقب سلبية على الرفاهية مثل زيادة مخاطر القلق والاكتئاب والوفاة المبكرة، كما ويمكن للعزلة أن تسبب الابتعاد الاجتماعي بسبب جائحة كورونا والتي تعزز من اعراض الإجهاد اللاحق للصدمة والارتباك والغضب (Samuelsson, et al.,2020)

وقد أوضح الباحثون في هذا المجال أن العديد من الأفراد المعزولين عانوا من مشكلات صحية وعقلية على المدى القصير والطويل، بما في ذلك الإجهاد والأرق والاكتئاب والإرهاق العاطفي وحتى إمكانية تعاطي المخدرات (مركز جونز هوبكنز أرامكو الطبي، 2020).

4-1. التباعد الاجتماعي واثره على العلاقات الاجتماعية:

انتجت ازمة كورونا الصحية واقعاً اجتماعياً جديداً في العالم تضمن ارساء تباعد اجتماعي في العلاقات اليومية، كما انتج تأثيراً عميقاً في البنى الاقتصادية من حيث التوقف شبه الكلي في منظومة الانتاج الوطنية. الواقع الانتقالي الذي افرزته أزمة كورونا دفعت الى تراجع ظواهر سوسيولوجية وبروز ظواهر اخرى لعب الاعلام الجديد –وسائل التواصل الاجتماعي تحديداً- دوراً محورياً في انتاجها ونشرها. لقد اصبحت الازمة الصحية العالمية واقعاً عالمياً يختلف عما سبقه، وبدأت سلوكيات جديدة تظهر في المجتمع.

ان الهدف من التباعد الاجتماعي هو تقليل احتمالية الاتصال بين الأشخاص المصابين بالعدوى وغيرهم من الأشخاص غير المصابين ، وذلك للحد من انتقال الأمراض والوفيات مما يساهم في الحد من المخاطر الصحية. وهناك من يرى في اجراءات التباعد الاجتماعي بانها " جميع تدابير الصحة العامة التي ينفذها السكان للحد من الاتصال الجسدي المباشر وغير المباشر بين الأفراد وبالتالي وقف انتشار الأمراض المعدية. هذه الظاهرة الجديدة انتجت انماطاً أخرى من الاتصال تتسم بالعمق والقوة هي الاتصال الافتراضي الذي عمم ادوات التفاعل اللامباشر بين الناس في العالم. (فوزي بن دريدي، 2020).

يعتبر هذا المفهوم أحد الصور التي يمكن أن تصبح جزءاً من السلوكيات التي تحدث في ما بعد الجائحة، لأن الناس ربما تميل إلى أشكال التباعد الاجتماعي تفادياً للعدوى. وعلى أي حال يعتبر المفهوم جديداً، لكنه سوف يظل مضاداً للاجتماع

البشري، لأن الاجتماع البشري يقوم على التقارب، والفلاسفة، بالمناسبة، أكدوا منذ زمن طويل أن الإنسان مدني بطبعه، وأنه مبالٍ إلى الاجتماع. قال ذلك أرسطو، وأكدّه ابن خلدون، ومعظم الفلاسفة، فالتباعد الاجتماعي بشكله الجديد الذي يفرضه المرض، يرتبط بخلق مسافة اجتماعية في ما بين الأفراد. ولذلك إذا صح أن نسمي المجتمع المقبل "مجتمع ما بعد الجائحة"، فإنه يصح أيضاً أن نسميه "مجتمع التباعد الاجتماعي". (احمد فرحات ، 2020)، بعد ان اختفت فجأة جميع أشكال التجمعات البشرية خارج إطار الأسرة، وتلاشى المجتمع لصالح الانكفاء على الذات، والنكوص إلى الوحدة الأصغر في مكوناته، وفي حالة فريدة من تكبيل الجسد، زادت الريبة من كافة أشكال التقارب، خالط ذلك شعور بالخطر والخوف من انتقال العدوى والمرض، كل ذلك في مجتمعات لطالما قامت على نمط ثقافي يعزز الثقة والتقارب، ولن طالت تدابير التباعد والعزلة، فإنه يُخشى أن تجعل التجمعات البشرية اليومية إرثاً من الماضي. (أسماء حسين ملكاوي، 2020، 10)

2-4. جائحة كورونا وملامح المشكلة السكنية:

لقد تساءل لويس ممفورد Lewis Mumford عما اذا كانت الأماكن التي نعيش فيها والأماكن التي نعمل فيها مناسبة بالفعل لتكون مستوطنات بشرية مستديمة واذا كانت كذلك فلماذا نحاول ان نقضي الكثير من وقتنا كي نبتعد عنها (لوجلي صالح الزوي ، ، 2002، ص190)، يعود السؤال ليطرح نفسه بطريقة أخرى تتعلق بقدرة المستوطنات البشرية على الصمود في مواجهة الأوبئة ذات الانتشار السريع .

ان المسكن كتصميم مادي لحياة الأفراد، ومساحة للراحة والترميم النفسي، فإن ما يطلق عليه «صندوق الإسكان الذي يضم وظائفنا الحيوية ما هو الا انعكاس لهويتنا الاجتماعية، نحن نتواجد به بشكل مستمر ، اعتماداً على مهنتنا وجنسنا وعمرنا ووضعنا الاجتماعي - وبجزء كبير من أنشطتنا الاجتماعية التي تجري خارجه، والآن محصورين بداخله، نختبر جوهره ، وتظهر معالم الظروف المعيشية التي يمنحها المسكن بشكل كبير مع الأزمة، مما يزيد من عدم المساواة عشرة أضعاف المرات، فوفقاً لآخر تقرير لمؤسسة Abbé Pierre الفرنسية ، تذكر أن 4 ملايين شخص في فرنسا يعانون من سوء الإسكان هؤلاء الأشخاص محرومون من منازلهم، أو يعيشون في الشارع، أو في مساكن مؤقتة، أو في مساكن غير صحية، أو يواجهون حالات من الاكتظاظ المتزايد. اذن ابرز وباء كورونا هذا الهامش الاجتماعي الذي ينتشر في المجتمعات الديمقراطية والغنية والمتقدمة تقنياً.

يقضي سكان الحضر المعاصرون في ظل الجائحة جزءاً كبيراً من وقتهم في الداخل حيث أجبروا على العمل من المنزل. وبالتالي فإن صحتهم تتأثر بشكل مباشر بمساحة الإسكان، ويمكن أن يؤثر ذلك سلباً على الصحة العامة إذا كان التصميم ضعيفاً.

وأدى إغلاق المنازل وإجراءات العزل إلى تحطيم المفهوم التقليدي للوظائف المنزلية، وأصبح مكاناً للنوم ولعب الأطفال والعمل، ففي دراسة أجراها Sennett 2020 في كتابه «اضطراب التصميم: التجارب والاضطرابات في المدينة» ؛ اظهر أنه في المستقبل القريب ستكون هناك فكرة جديدة في تصميم المباني والاتجاه نحو توسيع الأحياء التي تمكن الناس من التواصل الاجتماعي دون الحاجة إلى ملأها مثل السردين، مع مراعاة الأسس الصحية لتصميم المبنى. (Sara Eltarabily and Dalia Elgheznavy, 2020، 80) مما يدل على الخلل الموجود في المساكن العصرية التي تفتقد للبعد الاجتماعي والصحي .

لقد كشف وباء كورونا هشاشة ما انتج من مساكن او بالأحرى أماكن لإيواء البشر ، ومن رصد حالات المساكن في معظم دول الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وحتى بعض مقاطعات أوروبا ولايات أمريكا تبين ان الغالبية

العظمى منها صممت ليس لتكون سكناً وملتقى عائلياً وإنما هي في معظمها مخازن بشرية طاردة، مخازن يمكن فقط تقبلها عندما يكون منطق الحياة مرتكزاً على الخروج والمغادرة وخلق حياة أخرى في الشارع أو العمل أو المقهى (الرؤوف علي، 2020) فيرى الدكتور أبو غنيمه ان لعدد من مساكننا الحديثة وخاصة في مدنا العربية انتجت الكثير من المساكن هي علب كرتونية، والتي اهتمت بتوفير المسكن كمكان للمبيت دون التفكير به كمكان للمعيشة والحياة، فغالبية المساكن مصممة بشكل يهدف الى توفير فراغات و استخدامات، اثبتت التجربة عدم اهميتها وبعدها عن العامل الانساني واهمية توفير بيئة آمنة و انسانية لنعيش فيها (أبو غنيمه، 2020)

3-4. المسافة الاجتماعية في تصميم الشوارع:

يواجه القرن الحادي والعشرون مشاكل صحية عامة كبيرة، مما أثار دعوات لإعادة النظر في مناهج الوقاية من الأمراض. جزء رئيسي من الحل هو إعادة تصميم الشوارع، حيث التركيز على راكبي الدراجات والمشاة. ويهدف إلى إنشاء مدن أكثر صحة واستدامة اجتماعية تنعكس على سلوك المواطنين في وقت الأوبئة تناولت دراسة أجرتها Todd 2020 أن المساحات الحضرية المقاومة للوباء حيث يعيش الناس في مجتمع يمكن المشي فيه مع فرص وصول منخفضة المخاطر وبأسعار معقولة، أيضاً لتحقيق مبدأ التباعد الاجتماعي والسماح بمساحات أوسع بين المستخدمين، يجد العديد من المخططين أن هذا أمر جيد و فرصة لإعادة التفكير في تصميم الشوارع من خلال منع السيارات من بعض الشوارع وتوفير المزيد من المساحات للمشاة وراكبو الدراجات الذين يحولون المدينة إلى مدن خضراء منخفضة الكربون جدير بالذكر عند الإشارة إلى نقطة إعادة تصميم الشوارع أثناء الوباء؛ ينبغي النظر في المعايير الجديدة لاستخدام الأرصفة. مثل التباعد الاجتماعي أثناء الطابور الذي يتطلب توفير أرصفة ومسارات أوسع، وترك مسافة آمنة حوالي 1.5 متر. إضافة مساحة أكبر لاستيعاب قائمة الانتظار عند مداخل المرافق العامة، وتوفير مقاعد ثابتة لكبار السن، وتمييز نقطة الفرد بعلامة على الأرض

(Sara Eltarabily & Dalia Elghezawy, 2020, p78)، ومن المناظير المستقبلية في خطاب التخطيط

الحضري لما بعد حقبة كوفيد-19، ما يوصي به، Sameh & Somic، بأهمية إعادة تخطيط الفضاءات الحضرية العامة وتوفيرها وحمايتها وإعادة النظر في حجم تلك الفضاءات الحضرية، وطريقة تصميمها، والتوزيع المكاني لتأثيرها، بما في ذلك أرصفة المشاة والملحقات الأخرى، لتعزيز سلوك التباعد الاجتماعي (social distancing) و فرص الاستجابة لمواجهة فيروس كوفيد-19، للمساعدة على التعافي من آثاره الحالية أو في حالة التكرار، أو أي وباء مرضي في المستقبل. (أحمد عبدالكريم أحمد سليمان، 2021، ص44)

5- حقيقة الانسان زمن الوباء:

ان صدمة وباء كورونا اعادت الوعي الجماعي العالمي الى نقطة الانطلاق وهي ضرورة التفكير في الانسان بمنظور اكثر انسانية. وان طغيان التقنوية الزائدة على حياة البشر زعزعت منظومات القيم الجماعية التقليدية وولدت تباعداً اجتماعياً فردياً حتى قبل ازمة كورونا.

ولطغيان الفردانية ونمط الحياة المرتكز على الحياة الخاصة مقابل الحياة الجماعية اظهرت الان في هذه الازمة ان مستويات التضامن الاجتماعي في العالم يحتاج الى اعادة نظر وتفكير من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء السياسة. (فوزي بن دريدي، 2020)

لقد اقر الدكتور وعالم الاجتماع احمد زايد إن الوباء أثبت ضعف الإنسان أمام نفسه والطبيعة التي يهجم عليها الإنسان، ويستغلها أسوأ استغلال، ويميل إلى القول إن العقل هو الذي يغضب على الإنسان، وإن العقل هو الذي يهجم على هذه الطبيعة، والعقل الذي يحاول دائماً أن يقدم كل ما يسهل للإنسان حياته في شكل اختراعات تكنولوجية، وفي شكل أدوات الاتصال المختلفة في كل المجالات، وعلى قدر ما يقوم العقل بخلق كل هذه الأشياء التي تسعد الإنسان، على قدر ما يعمل على محاصرته وتضعيفه أمام نفسه، وتحويله بشكل دائم إلى إنسان يبحث عن حل للغز وجوده: مَنْ أنا؟ وَمَنْ أكون؟ وكيف أعيش؟ وما المستقبل؟ وهذا هو الذي خلق هذه الحالة التي يسميها بعض علماء الاجتماع "حالة عدم اليقين" أو "حالة مجتمع الخطر"، وصفاً للظرف الذي يعيشه الإنسان. وإن العقل يساعد دائماً التقدم، ونحن نؤمن إيماناً راسخاً بأن العقل لعب دوراً كبيراً في بناء الحضارة، لكنه هو في الوقت نفسه، كما يذهب عالم الاجتماع الشهير ماكس فيبر، يخلق حول الإنسان قفصاً من حديد، ويجعله محبوساً داخل أنماط من البيروقراطية التي يسود فيها القهر القاعدي المرتبط بعمليات الضبط، وعمليات الرقابة، والخضوع لقواعد وقوانين صارمة تجعله دائماً يعيش، كما لو كان آلة، وأيضاً ما ذهب إليه جماعة "مدرسة فرانكفورت" من قول بأن ثمة من يحاصر الإنسان ويجعله إنساناً ذا بُعد واحد على غرار ما ذهب إلى ذلك هيربرت ماركيز. ولا شك أن الظرف الكوروني الجديد الذي نعيشه يضع العقل أمام نفسه، ويميط اللثام عن الآثار الضارة لانفلاته بغير ضوابط. (احمد فرحات، 2020).

ولأن المدينة ليست تمركزاً سكانياً مطرد التضخم فحسب بل هي فضاء يتطلب تخطيطاً يراعي فيه متطلبات السكن ومختلف الخدمات التي يحتاجها السكان وهذا الخصوص يقدم لنا المهندس المعماري الفرنسي ج.ا. توسان Jean-Yves Toussaint تحليلاً يكشف من خلاله عن بعد المسافة الموجودة بين التخطيط العمراني وبين الإنجاز. فهو يرى في مشاريع التهيئة العمرانية غياب الفاعل الأساسي المتمثل في المدنيين les citadins (حسين خريف، 2005، ص 81) واحدة من الحقائق المهمة التي ظهرت في الازمة الحالية ان التخطيط لا يتعلق بمادية المدينة ومكوناتها، ولكن حول مشاركة شعبيها في انتاج المدينة وتحديد ملامحها واولوياتها يقينا سيتطلب المستقبل نزول المعماريين والمصممين العمرانيين والمخططين من أبراجهم العالية التي تحصنوا فيها لعقود وان يتعاملوا مع تحديات كيفية بناء المجتمع مع المجتمع وليس في عزلة عنه أو رفض لمساهمته. كيف يمكن إشراك المجتمعات وتلبية احتياجاتها الحقيقية في صياغة المكان والفضاء والمدينة؟ يجب أن يكون هو السؤال الأهم للمهتمين بالبيئة المبنية في مرحلة ما بعد كورونا. يجب الإدراك الكامل بأهمية المسؤولية المجتمعية للمعماري والمصمم العمراني والمخطط وضرورة أن فلسفتهم التصميمية تعتمد على إشراك حقيقي للمجتمع والتواضع أمامه ليساهم أفرادها بلا تحفظ في عملية تصميم وتخطيط فضاءاته ومبانيه ومساكنه. (علي الرؤوف، 2020، ص 5) وبذلك فان أي تخطيط لا يحترم البعد الجماعي والثقافي ويكرس الفردانية انما هو انحراف عن الطبيعة البشرية للاجتماع والتعاون التي تتجلى الحاجة اليها اثناء الازمات التي تعاصر الانسان حتى في ارقى مستويات تقدمه .

ان المدينة أضحت اليوم محل اهتمام العديد من الدارسين والباحثين في شتى المجالات وذلك لاعادة التفكير في الترتيبات اللازمة لتجاوز الاثار السلبية الناتجة عن الازمة الصحية العالمية كوفيد-19- التي كانت المدن مجالا مفتوحا لاحتضان الفيروس وانتشاره الواسع ، فالمدن عرفت مرحلة مهمة من التقدم أدت الى بروز اكبر المتروبولات العالمية ذات قدرة تنافسية في عملية الجذب لمختلف الشرائح البشرية والتدفقات المالية والتجارية والخدماتية اكسبتها سمعة عالمية ، تسارعت وتيرة التطور الى ان ظهر الفيروس القاتل العابر للقارات أدى الى توقف مظاهر الحياة الطبيعية في هذه المدن وشلت الحركة والتجمعات ، وكلفت الدول خسائر عظمى في الأرواح والمال والاقتصاد ، وظهرت الخلل في عملية التخطيط الذي لم يأخذ بالحسبان ظهور فيروسات بهذا الحجم من الفتك ، فعجزت المدن في الحفاظ على حيويتها وزحمتها اللامتناهية، لتتوصل الى ان المدن الحالية برغم كل ما تملكه من إمكانات تشيد بقوتها ومكانتها الا انها وقفت عاجزة في الحفاظ على هيبته وحماية ساكنيها من ازمة صحية خطيرة ، فالمدينة بمميزات الفيزيائية والاقتصادية والمجالية اثرت بشكل كبير على خصوصيات العلاقات الاجتماعية ، سواء على مستوى المجالات الداخلية او الخارجية بسبب الاعتماد على الطرق التقليدية لمواجهة اثار هذه الازمة الصحية كاعتراف عن عدم جاهزيتها لكبح جماح تفشي هذا الفيروس الى حين اشعار اخر مستقبلا وإعادة ترتيب المدن وفق مخططات تأخذ بعين الاعتبار القضايا الصحية والبيئية والإنسانية بالحسبان.

7.- قائمة المراجع:

المؤلفات:

- 01-حسين الملكاوي ،أسماء ، (2020) ، كورونا وعلم الاجتماع: أسئلة جديدة، في أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية ، ط1، مجموعة باحثين : مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية :، دولة قطر.
- 02-خريف، حسين ، (2005) ، المدخل الى الاتصال والتكيف الاجتماعي ، مخبر علم اجتماع الاتصال ، جامعة منتوري، قسنطينة .
- 03-ديبورا ماكنتزي، 2020، كوفيد – 19 الوباء الذي ما كان يجب أن يظهر وكيف نتجنب الوباء التالي، ترزينة إدريس الدار العربية .للعلوم ناشرون ،بيروت.
- 03- شلدون واتس (2010)، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الامبريالية ، الجزء، تراحمد محمود عبد الجواد ، ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة..
- 04-لوجلي ،صالح الزوي ،(2002) ، علم الاجتماع الحضري ، ط1، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي

المقالات:

- 05-عبدالكريم أحمد ، سليمان أحمد ، (2021)خطاب التخطيط الحضري حول تهيئة الفضاءات المفتوحة والخضراء لما بعد حقبة جائحة كوفيد-19، مجلة التعمير والبناء، المجلد، العدد (40) ، جامعة ابن خلدون تيارت ، الجزائر، ص26-51
- 06-عيسى ملكاوي حنان ،(2020)“تداعيات جائحة فيروس كورونا المستجد على الأمن الصحي العربي نشرية متخصصة ، العدد الثاني ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الأردن .
- 07-وناسي سهام ، (2021)، المدينة والأوبئة "وباء كورونا نموذجا"جلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد 06 العدد (02) ،السنة ، ص 355 – 368

مواقع الانترنت:

- 08- أبو غنيمه (2020) المدينة ما بعد كورونا : المسكن ، مدونات ، www.ammonnews.net،اطلع عليه : (2022/02/20)
- 09- الرؤوف ،علي ،(2020)، عمارة وعمران ومدينة ما بعد جائحة كورونا : تحولات حتمية ، . www.jadaliyya.com . اطلع عليه: 2022/02/18.
- 10-بن دريدي، فوزي ،(2020) ، سوسيولوجيا التباعد الاجتماعي خلال جائحة الكورونا، مركز دراسات الشرق الأوسط ، <https://www.orsam.org.tr//ar> اطلع
- 11-الطلحي احمد ،(2020)، مدنا ما بعد جائحة كورونا ، www.aljazeera.net اطلع عليه : 2022/02/25.
- 12-طيفوري ،محمد(2020)، مناعة المدن ، إعادة تصميم الحواضر لمواجهة الجوائح ، <https://www.Aleqt.com> اطلع عليه: 2022/02/20.
- 13-فرحات ،احمد ،(2020)، عالم اجتماع يتساءل: هل سيعزز كورونا تفكيرنا النقدي؟ <https://www.independentarabia.com/node/> اطلع عليه : 2022/02/28.

عليه، 2022/02/28.

14-مركز جونز هوبكنز أرامكو الطبي. (2020) ، الصحة النفسية في ظل انتشار مرضكوفيد [https://www.jhah.com](https://www.jhah.com/ar/new-coronavirus/mental-health-tool-kit) .

المراجع باللغة الأجنبية :

15- Michele Acuto, Shaun Larcom, Roger Keil, Mehrnaz Ghajeh, Tom Lindsay, Chiara Camponeschi and Susan Parnell')2020(*Seeing COVID-19 through an urban lens* ,Nature Sustainability | VOL 3 | December 2020 | 977–978 www.nature.com/natsustain(consulté le 01/03/2022).,

16 -Sara Eltarabily & Dalia Elgheznawy: *Post-Pandemic Cities - The Impact of COVID-19 on Cities and Urban Design Architecture Research* 2020, 10(3): 75-84(consulté 24/02/2022)

17-Samuelsson, K., Barthel, S., Colding, J., Macassa, G., & Giusti, M. (2020). Urban nature as a source of resilience during amidst the coronavirus pandemic.social distancing <https://www.researchgate.net/publication>(consulté le 28/02/2022.)

18-Sharifi Ayyoob ., & Khavarian-Garmsir Amir Reza, A. R. (2020). The COVID-19 pandemic: Impacts on cities and major lessons for urban planning, design, and management. *Science of the Total Environment*, journal homepage: www.elsevier.com/locate/scitotenv. (consulté le 28/02/2022.)